

إحياء علوم الدين

الرضا بقضاء الله قيل وكيف ذلك قال الراضي لا يتمنى فوق منزلته وقيل حبس الشبلى رحمة الله في المارستان فدخل عليه جماعة فقال من أنتم قالوا أحباؤك جاءوك زائرين فأخذ يرميهم بالحجارة فأخذوا يهربون فقال لو كنتم أحبائي لصبرتم على بلائي وكان بعض العارفين في جيبه رفعة يخرجها كل ساعة ويطالعها وكان فيها واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا ويقال ان امرأة فتح الموصلي عثرت فانقطع طفرها فضحكت فقيل لها أما تجدين الوجد فقالت إن لذة ثوابه أزالته عن قلبي مرارة وجعه وقال داود لسليمان عليهما السلام يستدل على تقوى المؤمن بثلاث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما قد نال وحسن الصبر فيما قد فات وقال نبينا A من اجل الله ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك // ويروى عن بعض الصالحين أنه خرج يوما وفي كفه صرة فاقتطعها فإذا هي قد أخذت من كفه فقال بارك الله فيك لعلها أحوج اليها مني وروى عن بعضهم أنه قال مررت على سالم مولى أبي حذيفة في القتل وبه رمق فقلت له أسقيك ماء فقال جرتني قليلا إلى العدو واجعل الماء في الترس فاني صائم فان عشت الى الليل شربته فهكذا كان صبر سالكي طريق الآخرة على بلاء الله تعالى .

فان قلت فيماذا تنال درجة الصبر في المصائب وليس الامر الى اختياره فهو مضطر شاء أم أبى فإن كان المراد به أن لا تكون في نفسه كراهية المصيبة فذلك غير داخل في اختيار فاعلم أنه إنما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة في الشكوى وإظهار الكآبة وتغيير العادة في الملابس والمفرش والمطعم وهذه الامور داخله تحت اختياره فينبغي ان يجتنب جميعها ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ويبقى مستمرا على عادته ويعتقد ان ذلك كان وديعة فاسترجعت كما روى عن الرميضاء ام سليم رحمها الله أنها قالت توفي ابن لي وزوجي أبو طلحة غائب فقامت فسجيته في ناحية البيت فقدم أبو طلحة فقامت فحيأت له إفطاره فجعل يأكل فقال كيف الصبي قلت بأحسن حال بحمد الله ومنه فإنه لم يكن منذ اشتكى بأسكن منه الليلة ثم تصنعت له أحسن ما كنت أتصنع له قبل ذلك حتى أصاب مني حاجته ثم قلت الا تعجب من جيرانا قال ما لهم قلت أعيروا عارية فلما طلبت منهم واسترجعت جزعوا فقال بئس ما صنعوا فقلت هذا ابنك كان عارية من الله تعالى وإن الله قد قبضه اليه فحمد الله واسترجع ثم غدا على رسول الله A فأخبره فقال اللهم بارك لهما في ليلتهما // قال الراوي فلقد رأيت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرءوا القرآن وروى جابر أنه عليه السلام قال رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميضاء امرأة أبي طلحة وقد قيل الصبر الجميل هو ان لا يعرف صاحب المصيبة من غيره ولا يخرج عن حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين

بالدمع اذ يكون من جميع الحاضرين لأجل الموت سواء ولأن البكاء توجع القلب على الميت فان ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الانسان الى الموت ولذلك لما مات إبراهيم ولد النبي A فاضت عيناه فقليل له أما نهيتنا عن هذا فقال ان هذه رحمة وإنما يرحم الله من عباده الرحما بل ذلك ايضا لا يخرج عن مقام الرضا فالمقدم على الحجامة والفصد راض به وهو متألم بسببه لا محالة وقد تفيض عيناه اذا عظم ألمه وسيأتي